سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن: ١٢]

القراءات: «والحب ذو العصف والريحان»: قرأ ابن عامر بنصب الثلاثة على إضمار فعل تقديره: أخص أو خلق.

وقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر برفع الأولين وجر «والريحان» وقرأ الباقون بالرفع في الثلاثة.

المعنى: قال الرازي: وقوله تعالى: «ذُو العصفِ» فيه وجوه- أحدها: التبن الذي تنتفع به دوابنا التي خلقت لنا. ثانيها: أوراق النبات الذي له ساق، الخارجة من جوانب الساق كأوراق السنبلة من أعلاها إلى أسفلها. ثالثها: العصف هو ورق ما يؤكل فحسب «والريْحان» فيه وجوه قيل ما يشم وقيل الورق وقيل هو الريحان المعروف عندنا بزره ينفع في الأدوية والأظهر أن رأسها كالزهر وهو أصل وجود المقصود فإن ذلك الزهر يتكون بذلك الحب وينعقد إلى أن يدرك فـ «العصف» إشارة إلى ذلك الورق والريحان إلى ذلك الزهر.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «والحب ذو العصف والريحان» برفع «الحب» ورفع «الريحان» ورفع «ذو» وقرأه حمزة والكسائي وخلف برفع «الحب» و«ذو» وبجر «الريحان» عطفًا على «العصف» وقرأه ابن عامر بنصب الأسماء الثلاثة وعلامة نصب «ذا العصف» الألف وكذلك كتب في مصحف الشام عطفًا على «الأرض» أو هو على الاختصاص.

وقال ابن جرير: واختلفت القراء في قراءة قوله «والرّيْحانِ» فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض المكيين وبعض الكوفيين بالرفع عطفًا به على الحبّ بمعنى وفيها الحبّ ذو العصف وفيها الريحان أيضًا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين «والرَّيْحانِ» بالخفض

عطفًا به على العصف بمعنى الحبّ ذو العصف وذو الريحان. وأولى القراءتين في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالخفض للعلة التي بينت في تأويله وأنه بمعنى الرزق وأما الذين قرءوه رفعًا فإنهم وجَّهوا تأويله فيما أرى إلى أنه الريحان الذي يشم فلذلك اختاروا الرفع فيه وكونه خفضًا بمعنى: وفيها الحبّ ذو الورق والتبن وذو الرزق المطعوم أولى وأحسن.

فائدة: قال ابن جرير: وأما قوله «والرَّيْحَانُ» فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم هو الرزق، ثمَّ ساق بسنده عن ابن عباس قال: كل ريحان في القرآن فهو رزق وعن مجاهد «والرَّيْحانُ» قال: الرزق. وعن الضحاك «والرَّيْحانُ»: الرزق ومنهم من يقول: ريحاننا. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس «والرَّيْحانُ» قال: الريح، وقال عطية ابن الحارث: سمعت الضحاك يقول في قوله «والرَّيْحانُ» قال: الرزق والطعام. وقال آخرون هو الريحان الذي يشمّ، ثمّ ساق بسنده عن ابن عباس قال «الرَّيْحانُ» ما تنبت الأرض من الريحان وعن الضحاك في قوله «والرَّيْحانُ» أما الريحان: فما أنبتت الأرض من ريحان وعن الحسن «والرَّيْحانُ» قال: ريحانكم هذا. وعن ابن زيد في قوله «والرَّيْحانُ» قال: الرياحين التي توجد ريحها. وقال آخرون: هو خُضرة الزرع، ثمَّ ساق بسنده. عن ابن عباس قوله «والرَّيْحانُ» يقول: خُضرة الزرع – وقال آخرون: هو ما قام على ساق، ثمّ ساق بسنده عن سعيد قال «الرَّيْحانُ» ما قام على ساق، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُني به الرزق وهو الحب الذي يؤكل منه وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لأن الله جل ثناؤه أخبر عن الحب أنه ذو العصف وذلك ما وصفنا من الورق الحادث منه والتبن إذا يبس فالذي هو أولى بالريحان أن يكون حبه الحادث منه إذ كان من جنس الشيء الذي منه العصف ومسموع من العرب تقول: خرجنا نطلب رَيْحان الله ورِزْقه ويقال: سبحانك وريحانك: أي ورزقك ومنه قول النمر بن توْلب:

سَلامُ الإلهِ وَرَيْحانُهُ ... وجَنَّتُهُ وسَمَاءٌ دِرِرْ

وذُكر عن بعضهم أنه كان يقول: العصف: المأكول من الحب، والريحان: الصحيح الذي لم يؤكل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٢٢]

القراءات: «يخرج» قرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب بضم الياء وفتح الراء وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الراء.

التوجيه: قال ابن عاشور: وقرأ نافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب «يخرج» بضم الياء وفتح الراء على البناء للمجهول وقرأ الباقون «يخرج» بفتح الياء وضم الراء؛ لأنهما إذا أخرجهما الغواصون فقد خرجا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾ [الرحمن: ٢٤]

القراءات: «المنشآت»: قرأ حمزة وشعبة بخلف عنه بكسر الشين وقرأ الباقون بفتحها وهو الوجه الثاني لشعبة.

التوجيه: قال الرازي: قرئ «المنشئات» بكسر الشين ويحتمل حينئذ أن يكون قوله «كالأعلام» يقوم مقام الجملة، والجواري معرفة ولا توصف المعارف بالجمل فلا تقول الرجل كالأسد جاءني ولا الرجل هو أسد جاءني وتقول رجل كالأسد جاءني ورجل هو أسد جاءني. فلا تحمل قراءة الفتح إلا على أن يكون حالًا وهو على وجهين: أحدهما: أن تجعل الكاف اسمًا فيكون كأنه قال الجواري المنشآت شبه الأعلام. وثانيهما: يقدر حالًا هذا شبهه كأنه يقول كالأعلام ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ ﴾ [هود: ٤٢].

وقال أبو حيان: وقرأ الجمهور «المنشآت» بفتح الشين اسم مفعول: أي أنشأها الله أو الناس أو المرفوعات الشراع وقال مجاهد: ماله شراع من المنشآت وما لم يُرفع له شراع فليس من المنشآت والشراع: القلع، وقرأ الأعمش وحمزة وزيد بن علي وطلحة وأبو بكر

بخلاف عنه بكسر الشين: أي الرافعات الشراع أو اللاتي ينشئن الأمواج بجريهن أو التي تنشئ السفر إقبالًا وإدبارًا.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ [الرحمن: ٣١]

القراءات: «سنفرغ»: قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر بالياء وقرأ الباقون بنون العظمة على الالتفات.

التوجيه: قراءة الياء تفيد الإعراض عن مخاطبة عصاة الجن والإنس، وقراءة النون تفيد عظيم قدرة الله وعظيم عذابه وانتقامه ممّن عصاه.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٥]

القراءات: «شِواظ» قرأ ابن كثير بكسر الشين والباقون بضمها.

و«نحاس»: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وروح بخفض السين وقرأ الباقون برفعها.

المعنى: قال الرازي: الشواظ: لهب النار وهو لسانه، وقيل ذلك لا يقال إلّا للمختلط بالدخان الذي من الحطب، والظاهر أنّ هذا مأخوذ من قولهم إنّ النار إذا صارت خالصةً لا تُرى كالتي في الكير الذي يكون في غاية الاتقاد وكما في التنور المسجور فإنه يرى فيه نور وهو نار. وأما النحاس، فهو الدخان، وقيل: القطر وهو النحاس المشهور عندنا. وقال في لسان العرب: قيل: الشواظ قطعة من نار ليس فيها نحاس، وقيل: هو لهب النار ولا يكون إلّا من نارٍ وشيءٍ آخر يخلطه.

وقال الألوسي: «شُواظٌ» هو اللهب الخالص كما روي عن ابن عباس وقيل: اللهب المختلط بالدخان وقال مجاهد: اللهب الأحمر المنقطع وقيل: اللهب الأخضر وقال الضحاك: الدخان الذي يخرج من اللهب وقيل: هو النار والدخان جميعًا «وَنُحَاسٌ» هو الدخان الذي لا لهب فيه كما قاله ابن عباس لنافع بن الأزرق، وعن مجاهد أنه الصفر

المعروف أي يصب على رؤوسكما صفر عذاب والراغب فسره باللهب بلا دخان ثم قال: وذلك لشبهه في اللون بالنحاس.

وقال ابن عاشور: وقرأ الجمهور «ونحاس» بالرفع عطفًا على «شواظ» وقرأه ابن كثير وأبو عمرو وورح عن يعقوب مجرورًا عطفًا على «نار» فيكون الشواظ منه أيضًا أي شواظ لهب من نار ولهب من نحاس ملتهب وهذه نار خارقة للعادة مثل قوله تعالى «وقودها الناس والحجارة».

التوجيه: قرئ بكسر الشين وضمها، وهما لغتان بمعنى واحد؛ قال في لسان العرب: قال الفراء: أكثر القراء قرءوا «شُواظ» بالضم وقرأ الحسن بكسرها كما قالوا لجماعة البقر: صُوار وصِوار، وقال ابن شميل: يُقال لدخان النار: شُواظ وشِواظ، ولحرّها شُواظ وشِواظ.

فائدة: قال الرازي: من قرأ «نُحاسٍ» بالجر كيف يعربه. ولو زعم أنه عطف على النار فكيف يكون شواظ من نحاس، والشواظ لا يكون من نحاس؟ نقول: الجواب عنه من وجهين: أحدهما: تقديره شيء من نحاس كقولهم سيفًا ورمحًا. وثانيهما: وهو الأظهر أن يقال: الشواظ لم يكن إلا عندما يكون في النار أجزاء هوائية وأرضية وهو الدخان، فالشواظ مركب من نار ومن نحاس وهو الدخان. وعلى هذا فالمرسل شيء واحد لا شيئان غير أنه مركب. فإن قيل: على هذا لا فائدة لتخصيص الشواظ بالإرسال إلا بيان كون تلك النار بعد غير قوية قوة تذهب عنه الدخان.، نقول: العذاب بالنار التي لا تُرى دون العذاب بالنار التي ترى لتقدم الخوف على الوقوع فيها وامتداد العذاب والنار الصرفة لا ترى أو ترى كالنور فلا يكون لها رهيب وَهَيْبَة.

قال تعالى: ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ [الرحمن: ٧٤]

القراءات: «يطمثهن»: في الموضعين قرأ الكسائي بضم الميم وكسرها فيهما. وقرأ الباقون بكسر الميم فيهما.

المعنى: قال ابن عاشور: الطمث بفتح الطاء وسكون الميم: مسيس الأنثى البكر.

التوجيه: قال ابن جرير: والصواب من القراءة في ذلك: ما عليه قرّاء الأمصار «لم يطمثهنّ» بكسر الميم لأنها اللغة الفصيحة، والكلام المشهور من كلام العرب.

قلتُ: هما قراءتان متواترتان، ولغتان مشهورتان، قال ابن عاشور: قرئ بضم الميم وبكسرها، وهما لغتان في مضارع طمث.

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٧٨]

القراءات: «ذي الجلال» قرأ ابن عامر «ذو» بالواو وقرأ الباقون «ذي» بالياء.

التوجيه: قرئ «ذي الجلال» على أنّه بدل من قوله «ربك»، والمعنى: تبارك اسم ربك الذي هو سبحانه ذو الجلال والإكرام، وقرئ «ذو الجلال» على أنه بدل من قوله «اسمُ ربك»، والمعنى: تبارك اسمُ ربك الذي اجتمع في اسمه سبحانه كل معاني الجلال، وبذكر اسمه سبحانه تحل البركة ويتنزل الإكرام من الله على عبده، وكلا المعنيين صحيح.

وقال ابن عاشور: قرئ «ذي الجلال» بالياء مجرورًا صفة لـ «ربك»، وقرئ «ذو الجلال» صفة لـ «اسم» كما في قوله تعالى «ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام»، والمعنى واحد على الاعتبارين، ولكنّ إجماع القراء على رفع «ذو الجلال» في آية «ويبقى وجه ربك» واختلافهم في جر «ذي الجلال» في آية «تبارك اسم ربك» يشعر بأنّ لفظ «وجه» أقوى دلالةً على الذات من لفظ «اسم».

obeikandl.com